



(1)

تسعى حاكمة الفقيه إلى تثبيت النظام الإلهي في الأرض، وبسط العدالة بين الناس، وإنقاذ المستضعفين في العالم من شرور الطغاة وظلمة المستكبرين!!

هكذا وصف الإمام الخميني مشروعه السياسي، وبهذا المنطق "الأعمى" يواصل منظرو الولاية الدينية نداءاتهم، فيدعون العالمين: أهل المشرق وسoward الغرب، إلى إقامة "الجنة الإيرانية" على جغرافية الأرض الخضراء من إندونيسيا إلى الدار البيضاء، وهو شعار الثورة وسلاحها العتيد الذي تلوح به طهران من حين لحين.

هذا هو مشروع الإمام الخميني، الذي يسعى إلى إخضاع الكون كله للفقيه المرشد، بوصفه حاكماً إلهياً، ونائباً لإمام الزمان الغائب، وجماعاً للكمالات الإلهية، فولايته العالمية، التي يبشر المسلمين بدخول جنتها، وعلى يد السيد علي خامنئي ولالية معصومة، تتمسك بمبدأ الوصاية الكونية على جميع المسلمين السمع والطاعة لأمر المرشد الأعلى أينما كانوا، مكاناً وزماناً. فلإعتقد بالولاية من تمام الإيمان. ومن يخرج عليها، أو يعارضها، يعد مرتدًا عن الدين القويم.

وقد جرى تأكيد مطلقات الولاية وقداستها الإلهية، أثناء الحراك السياسي 2009 الذي شهدته العاصمة والمدن الإيرانية الأخرى، تحت عنوان (الثورة الخضراء) فقد حكم على المتظاهرين بالكفر والردة والهرطقة، لتطاولهم على المقام الإلهي للمرشد المعظم، حيث يحرم على كل مسلم معارضته الفقيه القائد.

فليس ثمة حقوق لمواطني الولاية، غير واجبات تنفذ، وأوامر طاع، ومصير معلوم بالرجم حتى الموت، لكل من يملك رأياً مخالفًا أو ينشد أغنية، أو يحمل كتاباً.

وليس ثمة من يؤمن أو يعتقد أن حماية تجربة شخصية مثل "ولاية الفقيه" تجيز منع حرية التعبير عن المعتقدات الدينية والسياسية الأخرى.

(2)

فإلاسلام، لا "ولاية الفقيه" يتعزز بقوة واحدة فقط هي "العلم" ومنح "حرية الفكر" للآراء المعاصرة ومواجهتها بالحوار وبالمنطق العقلاني، وبالفهم الصحيح للشريعة ومقاصدها الأساسية. ولو كان المسلمون في صدر الإسلام يذبحون كل مخالف لهم لما كان لغيرهم وجود بين المسلمين اليوم.

وقد برهنت السنوات الأربع والثلاثون الفائمة من عمر التجربة الثيوقراطية؛ على أن "ولاية الفقيه" خلافاً لما روجته الإعلاميات الإيرانية، أو لما اعتقده مريدوها، أو أملوا في أيامها الأولى، ليست أكثر من زهرة نبات الخروع، تنمو وتذبل وتسقط أوراقها واحدة إثر أخرى، إنها في كل الأحوال، مجرد ثورة من المراسيم والطقوس والنداءات التعبوية الصاخبة. فهي التجربة التي حاولت فرض نموذجها الأيديولوجي على الوطن العربي، عن طريق تصدير الثورة المسلحة؛ فدشنـت أيامها الأولى بالحرب مع العراق، وعادـت عام 2003 مرة أخرى بذات المقاصد والغايات لتجعل من بعض الأقطار العربية قواعد لتصدير ثورتها كما في لبنان والعراق وسوريا، لتنطلق منها لتنفيذ مشروعها السياسي ضد أمن وسلامة الخليج العربي، بحـثاً عن "مجال حـيوي" لتوسيع رقعة "ولايتها السياسية".

في ذات الوقت الذي توجه سخطها العسكري المحموم ضد الشعوب الإيرانية وقواها الوطنية والقومية وتستمر في قتل الثوار والشعراء والأطفال..

(3)

ولاية الفقيه: تتبـق عن تصور ميتافيزيائي كلي يرى: بأن من حق الفقيـه الإيرـاني أن يتمـتع بـ(ولاية) عـامة تخـضع لها كل المـوجودـات الثـابـتـة والمـتـحـرـكـة عـلـى سـطـح الأرضـ. وـسـلـطـة مـطـلـقـة عـلـى جـمـيع البـلـادـ وـالـعـبـادـ. باـعـتـبـارـهـ "الـوـصـيـ" وـ"الـفـائـمـ" عـلـى شـؤـونـ الـمـسـلـمـينـ الـذـي اـدـخـرـتـهـ العـنـيـةـ الـإـلـهـيـةـ فـيـ غـيـبـةـ إـمـامـ الزـمـانـ. وقد أكد الدستور الإيراني في مادته الثانية هذه الوصـاـيـةـ، فـنـصـ عـلـىـ "ولاـيـةـ الـأـمـرـ وـالـأـمـةـ لـفـقـيـهـ".

إن هذا التصور الكلي لدور الفقيـه وـصـلـاحـيـاتـهـ الـعـامـةـ روـحـيـاـ وـدـنـيـوـيـاـ، يـجـعـلـهـ حـجـةـ مـطـلـقـةـ، وـمـصـدـرـ السـلـطـاتـ، نـائـبـاـ لـهـ، وـالـوـصـيـ الـأـوـحـدـ عـلـىـ إـلـاسـلـامـ وـالـمـسـلـمـينـ، حـاكـمـاـ مـتـأـلـلـاـ، نـاطـقـاـ بـاسـمـ السـمـاءـ، يـدـعـيـ لـأـرـائـهـ: "الـعـصـمـةـ"ـ، وـلـاجـهـاتـهـ: "الـيـقـيـنـ"ـ. وـلـأـحـكـامـهـ: "الـكـمـالـ"ـ. وـلـتـقـدـيرـاتـهـ: "الـإـطـلـاقـ وـالـضـرـورـةـ".

وبـمـوجـبـ المـوـادـ (٥٧ـ، ١٠٧ـ، ١١٢ـ)ـ مـنـ الدـسـتـورـ أـيـضـاـ: فـإـنـهـ المـصـدـرـ الـأـعـلـىـ لـلـسـلـطـاتـ الـثـلـاثـ: التـشـرـيعـيـةـ، التـنـفـيـذـيـةـ، القـضـائـيـةـ، وـهـوـ القـائـدـ الـأـعـلـىـ لـلـجـيـشـ وـالـمـسـؤـلـ الـأـوـحـدـ عـنـ تـعـيـيـنـ الضـبـاطـ وـعـزـلـهـمـ، وـهـوـ القـادـرـ عـلـىـ إـلـغـاءـ السـلـطـةـ وـتـغـيـيرـ كـلـ قـرـارـ أوـ حـكـمـ قـضـائـيـ، أوـ تـقـدـيمـ مـنـ يـشـاءـ لـلـمـحاـكـمـةـ، باـعـتـبـارـ أـنـ الـأـحـكـامـ تـابـعـةـ لـهـ، وـلـيـسـ الـعـكـسـ، فـهـوـ فـوـقـ الـأـحـكـامـ وـالـقـانـونـ. إـزـاءـ ذـلـكـ يـصـبـحـ "ـفـقـيـهـ"ـ الـأـمـرـ النـاهـيـ فـيـ أـيـ "ـمـوـقـفـ"ـ أـوـ "ـقـرـارـ"ـ، أـوـ "ـرـأـيـ"ـ وـعـلـىـ مـخـتـلـفـ الـأـصـعـدـةـ: السـيـاسـةـ، وـالـاقـتـصـادـيـةـ، وـالـاجـتمـاعـيـةـ، وـالـدـينـيـةـ.

فـهـوـ إـمـامـ الزـمـانـ، وـأـمـامـ الـدـينـ مـعـاـ، وـتـنـتـهـيـ بـيـنـ يـدـيـهـ كـلـ الـحـدـودـ، وـبـرـكـاتـهـ تـنـهـضـ الـحـيـاـةـ. وـتـقـدـمـ هـذـهـ (ـالـوـلـاـيـةـ الـمـطـلـقـةـ)ـ الـتـيـ لـاـ حـدـودـ لـهـاـ وـلـاـ نـهـاـيـةـ عـلـىـ طـبـقـ الـلـاهـوـتـ السـيـاسـيـ بـقـصـدـ تـكـرـيـسـ مـصـالـحـ الـطـبـقـةـ الـثـيـوـقـرـاطـيـةـ، وـتـوـطـيـدـ سـلـطـاتـهـاـ، وـقـبـلـ كـلـ شـيـءـ إـحـكـامـ قـبـضـتـهـاـ عـلـىـ الـمـجـتـمـعـ "ـلـبـثـ الـهـلـعـ فـيـ قـلـوبـ النـاسـ"ـ. فـهـذـهـ النـظـرـيـةـ بـكـلـ فـصـولـهـاـ النـظـرـيـةـ وـتـدـبـيرـاتـهـاـ الـعـمـلـيـةـ لـمـ تـتـخـطـ دـائـرـةـ التـأـوـيـلـاتـ السـيـاسـيـةـ، أـرـادـ كـاتـبـهـ، إـقـامـةـ دـولـةـ مـتـرـامـيـةـ الـأـطـرـافـ ذـاتـ طـابـ كـوـنيـ، بـدـعـاـوـيـ "ـقـدـسـيـةـ الـفـقـيـهـ"ـ، "ـالـحـاـكـمـ الـعـادـلـ"ـ الـذـيـ أـرـادـ أـنـ يـرـىـ إـلـيـرـانـيـوـنـ فـيـهـ (ـصـورـ اللـهـ عـلـىـ الـأـرـضـ)ـ.

وـمـنـ أـجـلـ هـذـهـ الغـاـيـةـ، اـبـتـدـعـ حـمـلـةـ الـلـاهـوـتـ السـيـاسـيـ، تـبـرـيرـاـ إـضـافـيـاـ يـضـمـنـ لـهـمـ سـطـوـتـهـمـ عـلـىـ رـقـابـ مـسـلـمـيـ إـرـانـ، فـزـعـمـواـ أـنـ "ـالـوـلـاـيـةـ"ـ حـجـةـ رـبـانـيـةـ، وـأـحـكـامـهـاـ نـافـذـةـ لـاـ تـقـبـلـ النـقـضـ أـوـ الـمـرـاجـعـةـ.

فـالـوـلـاـيـةـ، مـكـنـفـيـةـ بـذـاتـهـاـ، مـبـرـرـةـ لـوـجـوـدـهـاـ، اـقـتـضـتـ حـكـمـ السـمـاءـ قـيـامـهـاـ، لـيـسـ بـحـاجـةـ إـلـىـ أـحـدـ سـوـىـ مـرـشـدـهـاـ الـأـوـلـ، الـوـكـيلـ عـنـ اللـهـ فـيـ الـأـرـضـ لـأـنـ جـمـاهـيرـ الـمـسـلـمـينـ، إـنـ هـذـاـ التـصـورـ الشـامـلـ لـ(ـالـحـاـكـمـيـةـ الـمـتـأـلـلـةـ)ـ يـقـضـيـ بـالـضـرـورـةـ إـلـىـ (ـكـلـيـةـ مـطـلـقـةـ)ـ تـنـحـلـ مـعـهـاـ كـافـيـةـ الـجـزـئـيـاتـ وـالـشـذـرـاتـ وـالـتـفـاصـيـلـ، لـتـخـضـعـ بـمـوـجـبـهـ كـلـ الـمـوـجـودـاتـ الـكـوـنيـةـ، لـإـرـادـةـ الـفـقـيـهـ إـلـيـرـانـيـ،

ما ينتج عنه، جبرية صارمة، يتحول فيها الإنسان إلى رقم رياضي فارغ (صفر على جهة الشمال)، فالقهر الجبري، ينفي حرية الرأي ويمنع الاعتراف بالآخرين. ويلغي كافة أشكال الحرية الإنسانية.

وإذاء ذلك فولاية الفقيه - في نصوصها الفكرية وتجربتها التطبيقية - ليست إلا عملية سياسية، الهدف منها إقرار (الحق المقدس) بتمكين رجل الدين من الانفراد بالسلطة، والهيمنة على الحكم، عن طريق إعادة تشكيل نظرية (التفويض الإلهي) التي تمنح المرشد الإيراني (الحق المقدس) الذي يترتب عليه، تحطيم مبدأ المساءلة بين الحاكم والشعوب، ومن ثم إكفار كل من لا يؤمن بولاية الفقيه وبقراراتها المقدسة.

(4)

وفي مقابل صفة (القداسة) التي أضفت على التجربة الإيرانية وعلى مرشداتها، فقد تم إقصاء "النسبة" و"العقلانية" و"العلمية" و"الديمقراطية"، فيما أيقظت "الولاية" شعارات الإثارة والتهيج والنداءات الطائفية الذميمة، واعتبرت نفسها التجربة الوحيدة المعبرة عن روح الإسلام، وما عدتها من تجارب الأمم والشعوب الأخرى، تجارب كافرة ودخيلة!!

في ذات الوقت الذي تشهر فيه "الولاية" سلاحها العنصري بوجه كل الشعوب غير الإيرانية (غير الفارسية)، بهدف استلام هيويتها القومية وسحق تراثها الحضاري. فضلاً عن امتلاء قادتها بالأحلام التوسعية السوداء تحت شعار "الحرب المقدسة" لإقامة "دولة العدل العالمية" التي تبتدئ أولى خطواتها صوب بغداد، فيكون العراق والخليج العربي واحداً من أقاليمها الأساسية بزعم: "الأقربون أولى بالمعروف"!!

فكان الحرب العدوانية واحدة من احتجاجات الثيوقراطية ضد العراق تعبيراً عن ذاتها المضطربة والعاجزة عن إقامة علاقة سوية مع الأمة العربية، فلم يعد بوسعها إلا أن تجذب تقاليد الدم والموت وعدم من القرون العتيقة فيصبح "الغزو المسلح" و"العدوان المتعمد" سلاحاً أيديولوجياً لشق الطريق أمام الحركة الدينية - السياسية ومنظماتها الرجعية بقصد تنظيم صفوفها وتعبيئة قواها الفاشية ضد الأمن الوطني للعراق والأمة العربية، وضد عموم الشعوب الإسلامية الأخرى تحت دعاوى مضللة: **إنقاذ المستضعفين، و"تصدير الثورة"!!**

وإذ تفعل الخمينية ذلك كله، فإنها تصر على مغادرة الزمان التاريخي وتقودها خططها المثقلة بأوهام الدولة الكونية، إلى الأعماق الواطئة فتقذف نفسها وتجربتها خارج العصر والتاريخ.

(5)

إن إرادة الثيوقراطية وذرائعها وأهدافها في: إشعال الحروب، زرع الموت، تشويه مقاصد الشريعة، تحطيم المحبة في القلوب، إطفاء أنوار العقل.

لا يمكن لهذه الإرادة المغامرة إلا أن تكون إرادة شريرة مناهضة عن عمد وإصرار لكل فضائل الإسلام وأخلاقيات الأمم، تقف بالضد تماماً من الإرادة العامة، إرادة الشعوب، وقوانين الحياة والحرية والمستقبل.

فإرادة العامة هي مشيئة الحقيقة الدائمة، إجماعها لم يضل أحداً في الماضي، ولن يضل أحداً اليوم وفي المستقبل، لأنها وحدها القادرة على حكم العقل، واستيعاب فقه الدين وقوانين العلم، وشروط الحياة، وحركة التاريخ.

لذلك فإن "الخمينية" التي لم تعد تصنف إلا لانفعالات وجاذبها السياسي الهاابط، ومعتقداتها الفظة لا يمكن أن نضعها في النهاية إلا في خانة أعداء الجنس البشري، وفي دائرة الزرارة الدائمة، وللعنة الأبدية التي يستحقها كل من يحاول أن يقفز فوق أمني الشعوب ويحطم حقوقها الثابتة، ويحرف عقیدتها، ويلقي بجحيم الحرب فتيانها وأطفالها.

وليس لمثل هذه الظاهرة "الرثة" من فرصة أمام المستقبل وقوانين التاريخ إلا ضرورة حتمية واحدة، يفرضها مبدأ "تراكم

الظلم". فتحت قوقة الدكتاتورية المؤلهة وفي ظل إرهابيتها. وحربها العدوانية،

تشكل المقاومة الثورية التي تنمو نضالاتها في إيران كل يوم، وهي لن تقبل الأغلال الخمينية إلى ما لا نهاية، وسوف تصل مهماتها إلى التغيير الحتمي طلباً للحرية، والسلام، وتحقيقاً للعدالة المفتقدة، وإقراراً مبدأ حسن الجوار والتعايش السلمي مع الأئم.

(6)

إن الإنسان العربي الذي يناضل من أجل ازدهار العقل والحرية، ويؤمن بأن الإسلام في جوهره يدعو إلى فضائل الحكمة والتدبر والعدالة، ومن أجل ترسیخ المحبة والسلم بين الأمم والشعوب، يؤمن أيضاً بأن "ولاية" الفقيه، نظرية دينية؛ قد تصلح لحكم إيران، لكنها لا تملك فرض نموذجها على الشعوب الأخرى.

إن ولاية الفقيه بمطاراتتها الثيوقراطية الالاتاربخيه تعد في نظر القوى الوطنية الإيرانية ظاهرة طارئة؛ على الحياة الإنسانية وعلى عصتنا، ترید أن تعود بالإسلام والمسلمين إلى عالم ما تحت الأرض والضوء والحياة، عالم الجهل والظلمات وأحاجية السيئياء، لا يمكن لمثل هذه الظاهرة المدججة بالسلاح والأساطير، لا يمكن لها إلا أن تتهاوى أمام العقل والحكمة والسلام.

[مركز أمية للبحوث والدراسات](#)

المصادر: